نَثْرُ الْحِجَاج

وَفَصْمُ اللَّجَاج

فِي

آيَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاج

اَلْعَلَّامَةُ اَلْمُحَقِّقُ / حَافِظُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الحَكَمِي –رَحِمَهُ اللَّهُ–

اَلْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ / مُحَمَّدٌ خَلِيلٌ هَرَّاس –رَحِمَهُ اللَّهُ–

إِشْرَافُ/ الْقِسْمِ الْعِلْمِيِّ بِمُؤَسَّسَةِ مِنْهَاجِ الْأَنْبِيَاءِ

menhag.net

اَلِابْتِهَاجُ بِبَيَانِ قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

دَلَائِلُ وَاضِحَات لِكَشْفِ شُبْهَاتٍ زَائِفَات

اَلْعَلَامَةُ اَلْمُحَقِّقُ /

حَافَظَ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الحَكَمِي

رَحِمَهُ اللَّهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ الْعَلَّامَةُ الْمُحَقِّقُ حَافِظٌ الحَكَمِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي كِتَابِهِ «مَعَارِجَ الْقَبُولِ» (3/1225وَمَا بَعْدَهَا):

حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الْأَعْوَام مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الْأَنَام
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلَم وَفَرَضَ الْخَمْسَ عَلَيْهِ وَحَتَم

وَكَانَ الْإِسْرَاءُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَالْمِعْرَاجُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذِكْرِ الْإِسْرَاءِ: **{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [الْإِسْرَاء:1] وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذِكْرِ الْمِعْرَاجِ: **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}** [النَّجْم: 13-18] .

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

بَابُ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [الْإِسْرَاء: 1]

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ جَابِرًا بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ».

بَابُ الْمِعْرَاجِ

حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ -وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ- مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ**، فَقَدْ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: (فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ) فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: (مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ). وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: (مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ)، «**فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ**» فَقَالَ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ. «**يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وقد أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وقد أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفَتَحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا**

يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا. فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِيلَ: وقد أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يُوسُفُ قَالَ: هَذَا يُوسُفُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلُصْتُ إذا إِدْرِيسُ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: ومن مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ. قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ

الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ؛ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ. قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ. قَالَ: فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي». رَوَاهُ مُسْلِمٌ مُخْتَصَرًا.

قُلْتُ: وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ عَنْ (إِدْرِيسَ مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ)، هَذَا قَدْ يُشْكِلُ؛ لَانَ إِدْرِيسَ مِنْ آبَائِهِ؛ وَالْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ عَلَى مَا فِي الْحَدِيثِ **«نَحْنُ مَعَاشِرِ الْأَنْبِيَاءِ أَبْنَاءُ عِلَّاتٍ»**[1].

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَالِكٍ -يَعْنِي أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-يَقُولُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-مِنْ مَسْجِدِ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3442)، وَمُسْلِمٌ (2365).

الْكَعْبَةِ «أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بِئْرِ زَمْزَمَ فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى أَفْرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوٌّ إِيمَانًا وَحِكْمَةً فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ -يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ-ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَضَرَبَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِهَا فَنَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمَّدٌ، قالوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا، فَيَسْتَبْشِرُ أَهْلُ السَّمَاءِ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا بُنَيَّ، نِعْمَ الِابْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهَرَيْنِ يَطَّرِدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النِّيلُ وَالْفُرَاتُ. ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهَرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا. ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَقَالُوا مِثْلَ مَا قَالَتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، كُلُّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَمَّاهُمْ فَأَوْعَيْتُ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ وَآخَرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظِ اسْمَهُ وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ، فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ

أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ المنتهى وَدَنَا الْجَبَّارُ رَبُّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيمَا أَوْحَى إِلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أُمَّتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَاذَا عَهِدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ وَعَنْهُمْ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَدْنَى مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ فَأُمَّتُكَ أَضْعَفُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبُّكَ، كُلَّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ، فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَامُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا، فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ. قَالَ فَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ. فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: خَفَّفَ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللَّهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيْضًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُوسَى قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ. قَالَ فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ. قَالَ: وَاسْتَيْقَظَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ».

وَرَوَاهُ **مُسْلِمٌ** بَعْدَ حَدِيثِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ أَصْلهُ، وَقَالَ نَحْوَ حَدِيثِ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ وَقَدَّمَ فِيهِ شَيْئًا وَأَخَّرَ وَزَادَ وَنَقَصَ، وَهَذَا السِّيَاقُ رِوَايَتُهُ لِحَدِيثِ ثَابِتٍ.

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: **«أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ، أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ التي يربط بها الْأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى بن مَرْيَمَ ويحيى بن زكريا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عليه السلام إذ هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ الْبَابُ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} [مَرْيَمَ: 57] ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،**

وَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ ملك ثم لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الفيلة وإذا ثمرها كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ؛ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا . وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

بَابَ كَيْفَ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ فِي الْإِسْرَاءِ

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَخَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ. فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُ فَفَتَحَ، قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وجد في السموات آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ مَنَازِلَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِإِدْرِيسَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ:**

مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ: قَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ».

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجِعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جِبَالُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ". وَافَقَهُ عَلَيْهِ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى».**

وَلَهُ عَنْ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- انْتُهِي بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وإليها يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: **{إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى}** [النَّجْم: 16] قَالَ فِرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثَلَاثًا: «أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ».

وَلَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ: مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ».** الْحَدِيثَ.

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَجَابِرٍ وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَأَبِي ذَرٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي حَبَّةَ هِيَ مِنْ أَصَحِّ مَا وَرَدَ وَأَقْوَاهُ وَأَجْوَدَهُ وَأَسْنَدَهُ وَأَشْهَرَهُ وَأَظْهَرَهُ لِاتِّفَاقِ الشَّيْخَيْنِ عَلَى إِخْرَاجِهِمَا، وَعَنْ هَؤُلَاءِ رِوَايَاتٍ أُخَرَ لَمْ نَذْكُرْهَا اسْتِغْنَاءً عَنْهَا بِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ.

وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ أُخَرُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَذْكُرْ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلِيٌّ وَأَبُو سَعِيدٍ وَشَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قُرَظٍ وَأَبُو لَيْلَى وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو وَحُذَيْفَةُ وَبُرَيْدَةُ وَأَبُو أَيُّوبَ وَأَبُو أُمَامَةَ وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ وَأَبُو الْحَمْرَاءِ وَصُهَيْبٌ الرُّومِيُّ وَأُمُّ هَانِئٍ وَعَائِشَةُ وَأَسْمَاءُ ابْنَتَا أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ الله عنهم أجمين.

ثُمَّ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ **أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا يَقَظَةً لَا مَنَامًا**، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ مَا ذُكِرَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ فِي قَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ»** فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ أَوَّلِ مَا أَتَاهُ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْتَمَرَّ نَائِمًا، وَلِذَا كَانَتْ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيًا، **وَلَكِنْ فِي سِيَاقِ الْأَحَادِيثِ مِنْ رُكُوبِهِ وَنُزُولِهِ وَرَبْطِهِ وَصَلَاتِهِ وَصُعُودِهِ وَهُبُوطِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ يَقَظَةً لَا مَنَامًا**.

وَكَذَا لَا يُنَافِي ذَلِكَ رِوَايَةُ شَرِيكٍ **«فَاسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»** فَإِنَّ رِوَايَةَ شَرِيكٍ فِيهَا أَوْهَامٌ كَثِيرَةٌ تُخَالِفُ رِوَايَةَ الْجُمْهُورِ عَنْ أَنَسٍ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشَرَةِ مَوَاضِعَ سَرْدُهَا فِي الْفَتْحِ، وَسِيَاقُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بِالْمَعْنَى، وَصَرَّحَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ لَمْ يُثْبِتْهَا، وَتَصْرِيحُ الْآيَةِ **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ}** [الْإِسْرَاءِ: 1] **شَامِلٌ لِلرُّوحِ وَالْجَسَدِ**، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّجْمِ: **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى}** [النَّجْمِ: 13] جَعَلَ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِجِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى مُقَابِلًا لِرُؤْيَتِهِ إِيَّاهُ فِي الْأَبْطُحِ، وَهِيَ رُؤْيَةُ عَيْنٍ حَقِيقَةً لَا مَنَامًا.

وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بِرُوحِهِ فِي الْمَنَامِ لَمْ تَكُنْ مُعْجِزَةً وَلَا كَانَ لِتَكْذِيبِ قُرَيْشٍ بِهَا وَقَوْلِهِمْ كُنَّا نَضْرِبُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ شَهْرًا ذَهَابًا وَشَهْرًا إِيَابًا، وَمُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إِلَيْهِ

وَأَصْبَحَ فِينَا، إِلَى آخِرِ تَكْذِيبِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ بِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَوْ كَانَ ذَلِكَ رُؤْيَا مَنَامًا لَمْ يَسْتَبْعِدُوهُ وَلَمْ يَكُنْ لِرَدِّهِمْ عَلَيْهِ مَعْنًى؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرَى فِي مَنَامِهِ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَا يُكَذِّبُهُ أَحَدٌ اسْتِبْعَادًا لِرُؤْيَاهُ، وَإِنَّمَا قَصَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَسْرَى حَقِيقَةٍ يَقَظَةً لَا مَنَامًا فَكَذَّبُوهُ وَاسْتَهْزَءُوا بِهِ اسْتِبْعَادًا لِذَلِكَ وَاسْتِعْظَامًا لَهُ، مَعَ نَوْعِ مُكَابَرَةٍ لِقِلَّةِ عِلْمِهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ وَلِهَذَا لَمَّا قَالُوا لِلصِّدِّيقِ وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ قَالَ: إِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: وَتُصَدِّقُهُ بِذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ يَأْتِيهِ، يَأْتِيهِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا. أَوْ كَمَا قَالَ.

اَلْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ /

مُحَمَّدٍ خَلِيلٍ هَرَّاس

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ، أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ لِيَجْعَلَهُ حُجَّةً دَائِمَةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَأَمْرَ رَسُولَهَ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُبَيِّنَ لِأُمَّتِهِ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِ الْكِتَابِ، وَأَنْ يَدُلَّهُمْ عَلَى كُلِّ مَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْكِتَابِ، فَكَانَ الْكِتَابُ مَعَ بَيَانِ الرَّسُولِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- هُدًى وَرَحْمَةً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وَأَمَرَهُ أَنْ يَتْلُوَ الْكِتَابَ، وَأَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ دَعَى بِدَعْوَتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: **{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** [الْإِسْرَاء: 1]، هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَالَّتِي تُسَمَّى أَيْضًا سُورَةُ (بَنِي إِسْرَائِيلَ)، فِيهَا تَصْرِيحٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى جَدَلٍ وَلَا إِلَى تَأْوِيلٍ، بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَسْرَى بِعَبْدِهِ، يَعْنِي سَارَ لَيْلًا بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بِالشَّامِ، وَأَنَّهُ جَعَلَ هَذَا الْإِسْرَاءَ لِحِكْمَةٍ عَظِيمَةٍ وَهُوَ أَنْ يُرِيَ عَبْدَهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى، ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ بِاسْمَيْنِ كَرِيمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِهِ سُبْحَانَهُ، فَقَالَ: **{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}**، **السَّمِيعُ** لِأَقْوَالِ عِبَادِهِ مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ مُصَدِّقِهِمْ وَمُكَذِّبِهِمْ، **وَالْبَصِيرُ** بِأَحْوَالِهِمُ الْمُطَّلِعُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فَيَجْزِيهِمْ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

كَانَتْ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ حَقًّا لَا رَيْبَ فِيهِ بِمَنْطُوقِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَلَا لِحَاجَةَ وَلَا مُكَابَرَةَ فِي وُقُوعِ الْإِسْرَاءِ بَعْدَمَا أَخْبَرَ عَنْهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَكُلُّ جَحْدٍ وَإِنْكَارٍ لِلْإِسْرَاءِ فَهُوَ كُفْرٌ بِاللَّهِ وَتَكْذِيبٌ بِصَرِيحِ الْقُرْآنِ، لَكِنَّ النَّاسَ قَدْ يَخْتَلِفُونَ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ، بَعْدَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِوُقُوعِ الْإِسْرَاءِ يَحْلُو لَهُمْ أَنْ يَخْتَلِفُوا هَذَا الِاخْتِلَافَ:

هَلْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ مَعًا؟

أَوْ كَانَ بِالرُّوحِ وَحْدَهَا؟

وَإِذَا كَانَ بِالرُّوحِ وَحْدَهَا؛ فَهَلْ كَانَ يَقَظَةً أَوْ مَنَامًا؟

نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا لَا نُخْرِجُ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَمَا آمَنُوا بِالْإِسْرَاءِ، لَكِنَّنَا نَدْعُو كُلَّ النَّاسِ إِلَى أَنْ يُؤْمِنُوا بِمَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَلَيْسَ كُلُّ قَوْلٍ يُقَالُ قَدْ يَكُونُ حَقًّا بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُوَازِنَ بَيْنَ الْأَقْوَالِ وَالْآرَاءِ، وَأَنْ نُرَجِّحَ أَقْرَبَهَا إِلَى النَّصِّ، فَكُلَّمَا قَرُبَ الرَّأْيُ مِنَ النَّصِّ وَمِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ.

إِنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَفْسَهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ جَمِيعًا، وَأَنَّهُ كَانَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْدَؤُهَا بِالسُّبْحَانِ فَيُسَبِّحُ نَفْسَهُ، **وَالتَّسْبِيحُ لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ الْأَمْرِ الْعَجِيبِ الَّذِي فِيهِ غَرَابَةٌ**، وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِالرُّوحِ وَحْدَهَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَجَبٌ وَلَا غَرَابَةٌ، ثُمَّ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: **{أَسْرَى بِعَبْدِهِ} وَلَفْظُ الْعَبْدِ إِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَى مَجْمُوعِ الْبَدَنِ وَالرُّوحِ، يُطْلَقُ عَلَى الشَّخْصِ كُلِّهِ**، فَلَا يُقَالُ لِلرُّوحِ وَحْدَهَا عَبْدٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ عَبْدٌ إِذَا كَانَ الْمُرَادُ الشَّخْصُ كُلُّهُ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: **{أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى}** وَهُنَا تَحْدِيدٌ لِابْتِدَاءِ الرِّحْلَةِ وَنِهَايَتِهَا،

ثُمَّ يَقُولُ: **{لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} وَالْإِرَاءَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْعَيْنِ وَلِلْبَصَرِ**، فَهَذَا هُوَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ وَهُنَاكَ دَلَائِلُ أُخْرَى تَشْهَدُ لِهَذَا، وَهُوَ مَا وَرَدَ فِي أَحَادِيثِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهَا مِنْ أَنَّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- أُتِيَ بِالْبُرَاقِ، **وَالْبُرَاقُ: دَابَّةٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى رُكُوبِهَا إِلَّا الْبَدَنُ**، فَالرُّوحُ فِي مَسْرَاهَا لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى مَرْكَبٍ تَرْكَبُهُ، ثُمَّ مَا وَرَدَ كَذَلِكَ مِنِ اسْتِهْزَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بِأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَعَجِبُوا لِهَذَا أَشَدَّ الْعَجَبِ وَأَنْكَرُوهُ أَعْظَمَ الْإِنْكَارِ، وَلَوْ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنَّنِي ذَهَبْتُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ أَنَّنِي صَعَدْتُ إِلَى السَّمَاءِ، لَمَا كَانَ هُنَاكَ عَجَبٌ وَلَا إِنْكَارٌ، **وَإِنَّمَا انْصَبَّ إِنْكَارُهُمْ وَعَجَبُهُمْ لِأَنَّهُ قَالَ: (أُسْرِيَ بِي) أَيْ: بِجَسَدِي وَشَخْصِي، فَهَذَا هُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ يَعْجَبُونَ وَيَسْتَهْزِؤُونَ**، وَيَقُولُونَ لَهُ: (نَحْنُ نَضْرِبُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ شَهْرًا مُصْعَدَةً وَشَهْرًا قَافِلَةً، ثُمَّ تَزْعُمُ أَنْتَ أَنَّكَ ذَهَبْتَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَرَجَعْتَ مِنْ لَيْلَتِكَ فَبِتَّ فِينَا؟!)، هَذَا هُوَ مَوْضِعُ الْعَجَبِ وَمَوْضِعُ الْإِنْكَارِ.

أَفَبَعْدَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ يَجُوزُ الْخِلَافُ؟ إِنَّ كُلَّ مُنْصِفٍ لَابُدَّ أَنَّ يَقْدُرَ لِهَذِهِ الدَّلَائِلِ قَدْرَهَا وَأَنْ يُؤْمِنَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ وَبِمَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَلَفِهَا وَخَلَفِهَا، **مِنْ أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَتْ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ جَمِيعًا**، فَإِنَّ هَذِهِ الْحَادِثَةَ إِنَّمَا أُرِيدَ بِهَا تَكْرِيمُ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- **وَالتَّكْرِيمُ لَا يَكُونُ كَامِلًا وَلَا تَامًّا إِلَّا إِذَا كَانَ تَكْرِيمًا لِشَخْصِهِ الَّذِي هُوَ مَجْمُوعُ بَدَنِهِ وَرُوحِهِ**، وَإِلَّا فَرُوحُهُ الطَّاهِرَةُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ تَخْرُجُ مِنْ بَدَنِهِ وَتَصْعَدُ إِلَى السَّمَوَاتِ الْعُلَى مُكَرَّمَةً هُنَاكَ، **فَالتَّكْرِيمُ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ جَمِيعًا**.

كَانَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ -كَمَا يَقُولُ الْمُؤَرِّخُونَ- قَبْلَ الْهِجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ بِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى التَّحْقِيقِ، لِأَنَّهُ قَوْلُ الثِّقَاتِ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ، وَقِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، **وَالْخِلَافُ هُنَا هَيِّنٌ وَيَسِيرٌ**، لَكِنْ إِذَا جَرَيْنَا عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ، كَانَ مَعْنَاهَا أَنَّهَا وَقَعَتْ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ لِأَنَّ الْهِجْرَةَ كَانَتْ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَأَمَّا إِذَا جَرَيْنَا عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا وَهَذَا قَوْلُ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ **السُّدِّيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي رِوَايَتِهِ**، كَانَ الْإِسْرَاءُ أَوْ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ فِي رَجَبٍ، كَمَا اعْتَادَ النَّاسُ أَنْ يَحْتَفِلُوا بِهَا فِي شَهْرِ رَجَبٍ، **وَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ يُعَيِّنُوا لَيْلَةً مِنْ رَجَبٍ هِيَ لَيْلَةُ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ** لِيَقُولُوا إِنَّ الْوَاقِعَةَ وَقَعَتْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، **وَلَيْسَ لِهَذَا أَيُّ سَنَدٍ صَحِيحٍ بِالْمَرَّةِ، حَتَّى لَوْ جَرَيْنَا عَلَى أَنَّ الْحَادِثَةَ وَقَعَتْ فِي رَجَبٍ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا وَقَعَتْ فِي السَّبْعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ.**

كَانَتْ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ فِي جَوٍّ مَلِيءٍ بِالْمَآسِي وَالْأَحْزَانِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِالدَّعْوَةِ وَبِصَاحِبِ الدَّعْوَةِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، لَقَدْ كَانَ يُعَانِي خِلَالَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا الْإِسْرَاءُ مِنْ ظُلْمِ قُرَيْشٍ، وَمِنْ جُرْأَتِهَا عَلَيْهِ، وَمِنِ اسْتِخْفَافِهَا بِهِ، مَا تَنُوءُ بِهِ الْجِبَالُ، حَتَّى إِنَّهُمُ اضْطَرُّوهُ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَكَّةَ مُخْتَفِيًا، فَيَذْهَبَ إِلَى ثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ يَدْعُوهَا إِلَى نُصْرَتِهِ وَحِمَايَتِهِ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَقَطَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- تِلْكَ الرِّحْلَةَ الشَّاقَّةَ سَائِرًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فَلْيَهْنَئْ أَهْلُ الْخَطْوَةِ بِخَطْوَتِهِمْ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ يَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ بَعْدَمَا دَعَى إِلَى اللَّهِ هَذِهِ الدَّعْوَةَ الصَّادِقَةَ، وَبَعْدَمَا احْتَمَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هَذَا الْعَذَابَ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تُنْزِلْ لَهُ السَّمَاءُ فَرَسًا يَرْكَبُهُ، وَلَا حَمَلَتْهُ الرِّيحُ، وَإِنَّمَا أَرَادَتِ السَّمَاءُ أَنْ يَطَأَ هَذِهِ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ حَتَّى يَعْلُوَ بِكُلِّ خُطْوَةٍ قَدْرُهُ عُلُوًّا فَوْقَ عُلُوٍّ، لِأَنَّهَا قَدَمٌ اغْبَرَّتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

ذَهَبَ إِلَى ثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ إِنْ هُمْ آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ إِلَّا الصُّدُودَ وَالْإِعْرَاضَ وَالْجَبْهَةَ وَالْغِلْظَةَ، فَكُلَّمَا دَخَلَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ سَادَتِهَا طَرَدَهُ وَأَمَرَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ دَارِهِ، (اِذْهَبْ عَنَّا، إِنَّنَا لَا نُرِيدُ أَنْ تَقَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قُرَيْشٍ عَدَاوَةٌ مِنْ أَجْلِكَ، لَا نُرِيدُ دِينَكَ "لَا كَذَا لَا كَذَا")، وَهُوَ صَابِرٌ مُسْتَسْلِمٌ لِحُكْمِ اللَّهِ، مَكَثَ فِيهِمْ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ أَيَامٍ، مَاذَا كَانَ يَأْكُلُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَهُوَ بَيْنَ قَوْمٍ لِئَامٍ؟ مَاذَا كَانَ يَشْرَبُ؟ أَيْنَ كَانَ يَنَامُ؟ لَا أَحَدَ يَسْأَلُ عَنْ هَذَا، **فَإِنَّ هَذَا شَيْءٌ فَوْقَ مَا يَحْتَمِلُهُ غَيْرُهُ مِنْ الْبِشْرِ**، وَبِهَذَا فَضَّلَهُ اللَّهُ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ.

وَلَمَّا يَئِسَ مِنْهُمْ قَفَلَ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ بَعْدَمَا طَلَبَ مِنَ الْقَوْمِ أَنْ يُخْفُوا رِحْلَتَهُ عَنْ قُرَيْشٍ وَأَلَّا يُخْبِرُوهُمْ بِمَسِيرِهِ إِلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا لِئَامًا أَشَدَّ اللُّؤْمِ، فَحَتَّى هَذَا الطَّلَبُ الَّذِي تَهِشُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ الْعَرَبِيَّةُ، حَتَّى هَذَا الطَّلَبُ الْيَسِيرُ أَبَوْهُ عَلَيْهِ، وَقَالُوا لَابُدَّ أَنْ نُخْبِرَ قُرَيْشًا بِمَا كَانَ، ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَانْصَرَفَ مَهْمُومًا مَكْدُودًا يَسِيرُ فِي غَيْرِ وَعْيٍ، وَقَدْ جَعَلَ لَهُ الْقَوْمُ سِمَاطَيْنِ مِنْ سُفَهَائِهِمْ وَصِبْيَانِهِمْ يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ -وَهُوَ سَائِرٌ- حَتَّى أَدْمَوْا عَقِبَيْهِ، وَكَانَ زَيْدٌ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَتَتَرَّسُ عَلَيْهِ، وَيَقِيهِ بِجَسَدِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ، حَتَّى بَعُدَ عَنْ دَارِ الْقَوْمِ وَمَحِلَّتِهِمْ، فَجَلَسَ إِلَى حَائِطٍ كَانَ لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ مَهْمُومًا مَكْرُوبًا فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ الَّتِي لَا يَنْسَاهَا الزَّمَانُ أَبَدًا، فِي هَذِهِ الْآوِنَةِ الَّتِي تَطَلَّعَتْ فِيهَا الدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى أَلْفَاظٍ تَخْرُجُ مِنْ هَذَا اللِّسَانِ الرَّطْبِ دَائِمًا بِذِكْرِ اللَّهِ، تَخْرُجُ شِكَايَتُهُ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَقَدْ يَئِسَ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا، فَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ بَعْدَمَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي إِلَى مَنْ تَكِلُنِي إِلَى غَرِيبٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ

يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، وَلَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، سَمِعَتِ السَّمَاءُ لِشِكَايَةِ دَاعِي السَّمَاءِ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- اِرْتَجَّتِ الْمَلَائِكَةُ فِي سَمَوَاتِهَا وَصَدَرَ أَمْرُ اللَّهِ إِلَى جِبْرِيلَ أَنْ يَأْمُرَ مَلَكَ الْجِبَالِ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- حَيْثُ دَعَى رَبَّهُ، فَيُطِيعَهُ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ فِي شَأْنِ قَوْمِهِ، فَنَزَلَ مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَالَ لَهُ: **(يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي أَنَّ أُطِيعَكَ فِيمَا تَأْمُرُنِي بِهِ فِي شَأْنِ قَوْمِكَ، فَلَوْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ)** فَمَا كَانَ جَوَابُ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-عَلَى كَلَامِ الْمَلَكِ، هَلْ فَرِحَ بِأَنَّ الْمَلَكَ جَاءَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ هَلَاكَ قَوْمِهِ؟ هَلْ رَغِبَ فِي التَّعْجِيلِ بِنِهَايَتِهِمْ؟ لَا، بَلْ قَالَ لَهُ: **«إِنِّي أَسْتَأْنِي بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»**[2]، لَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- كَمَا قَالَ نُوحٌ دَاعِيًا عَلَى قَوْمِهِ: **{رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}** [نُوح:27]، وَلَمْ يَقُلْ كَمَا قَالَ مُوسَى دَاعِيًا عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: **{رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ}** [يُونُس:88]، بَلْ كَانَ بِقَوْمِهِ رَؤُوفًا رَحِيمًا، وَلَمَّا أَرَادَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا فِي جِوَارِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهُ: **الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ**، بَعْدَمَا عَرَضَ عَلَى بَعْضِ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ أَنْ يُجِيرُوهُ فَأَبَوْا عَلَيْهِ ذَلِكَ، لَكِنَّ الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ هَلَّلَ لِهَذِهِ الرَّغْبَةِ، وَنَزَلَتْ مِنْ نَفْسِهِ مَكَانَةً عَظِيمَةً، فَخَرَجَ هُوَ وَبَنُوهُ بِسُيُوفِهِمْ يَحْمُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيُحِيطُونَ بِهِ حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ، وَحَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ ثُمَّ أَوْصَلُوهُ

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3231)، وَمُسْلِمٌ (1795) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، بِلَفْظٍ غَيْرِ هَذَا.

إِلَى بَيْتِهِ، لَمْ يَنْسَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- هَذِهِ الْيَدَ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، بَلْ يَظَلُّ يَحْفَظُهَا حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا أَسَرَ سَبْعِينَ مِنْ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدِهَا، قَالَ: **«وَاللَّهِ لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا وَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَوَهَبْتُهُمْ لَهُ»**[3] فَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى رَسُولِ الْوَفَاءِ وَرَسُولِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ.

فِي هَذِهِ الْمِحَنِ الْقَاسِيَةِ وَفِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الْعَصِيبَةِ تَقَعُ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ تَسْلِيَةً لِقَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَا إِغْرَاءَ بِالْمَالِ، وَلَا إِغْرَاءَ بِالْمُلْكِ، وَلَا إِغْرَاءَ بِالسِّيَادَةِ، كَمَا لَا يَرْهَبُهُ فِي سَبِيلِهِ تَهْدِيدٌ وَلَا وَعِيدٌ، فَكَانَتْ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ هِيَ النَّوْطُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي عَلَّقَتْهُ السَّمَاءُ بِصَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَكَانَتْ هِيَ حَفْلُ التَّكْرِيمِ الَّذِي قُدِّمَ لِهَذَا الرَّسُولِ الْعَظِيمِ فِي مَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَانَتْ إِرْهَاصًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّ هَذَا الدِّينَ الْجَدِيدَ سَوْفَ لَنْ يَبْقَى حَبِيسًا بِمَكَّةَ يُضَيِّقُ عَلَيْهِ الْكُفَّارُ الْخِنَاقَ بَلْ إِنَّهُ سَيَمْتَدُّ وَيَمْتَدُّ، سَيَمْتَدُّ إِلَى الْمَدِينَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا فَاتِحًا ظَافِرًا يَمْلَأُ الدُّنْيَا كُلَّهَا عَدْلًا وَنُورًا، بَعْدَ أَنْ مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، كَانَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ رَبْطًا مِنَ اللَّهِ لِرِسَالَاتِ السَّمَاءِ، فَقَدْ كَانَتْ هُنَاكَ بِالشَّامِ رِسَالَاتُ الرُّسُلِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، فَالشَّامُ هِيَ مَعْدِنُ الْأَنْبِيَاءِ وَمَهْبِطُ الرِّسَالَاتِ عَلَيْهِمْ السّلام، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَ هَذِهِ النُّبُوَّةَ الْجَدِيدَةَ إِلَى تِلْكَ النُّبُوَّاتِ الْقَدِيمَةِ، وَأَنْ تَلْتَقِيَ بِهَا فِي مَهْدِهَا الْأَوَّلِ إِشَارَةً إِلَى وَحْدَةِ دِينِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ دِينٌ وَاحِدٌ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لَيْسَ فِيهِ فُرْقَةٌ وَلَا اخْتِلَافَ، فَدَعْوَةُ نُوحٍ هِيَ بِعَيْنِهَا دَعْوَةُ هُودٍ؛ هِيَ بِعَيْنِهَا دَعْوَةُ صَالِحٍ أَخِي ثَمُودَ، هِيَ بِعَيْنِهَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ سَارَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ فِي عَقِبِ إِبْرَاهِيمَ حَتَّى انْتَهَتْ فِي مَسْرَاهَا إِلَى نَبِيِّنَا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-

(3) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (3139)، مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

فَتَلَقَّاهَا كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ التَّلَقِّي، وَقَامَ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ الْقِيَامُ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُرِيَهُ دَارَ الرِّسَالَاتِ وَمَهْبِطَ النُّبُوَّاتِ، وَأَنْ يُبَشِّرَهُ بِأَنَّ دِينَهُ سَيَحُلُّ هَذِهِ الْأَرْضَ، وَسَتَصِيرُ وِلَايَاتٍ إِسْلَامِيَّةً يَحْكُمُهَا الْخَلِيفَةُ الْمُسْلِمُ الَّذِي يُقِيمُ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، هَكَذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَ الرِّسَالَاتِ كُلَّهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، لِيُخْبِرَ وَيُعْلِنَ أَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ، وَأَنَّهُ الدِّينُ الْوَاحِدُ الَّذِي بُعِثَتْ بِهِ كُلُّ الرُّسُلِ -عَلَيْهِمْ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ-، مَاذَا كَانَ مِنْ شَأْنِ تِلْكَ الرِّحْلَةِ لَقَدْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ كَمَا قُلْنَا عَنِ الرِّحْلَةِ الْأَرْضِيَّةِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَهُنَا يَقِفُ بَعْضُ النَّاسِ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى مَا قَالَ الْقُرْآنُ، وَيُرِيدُ أَنْ يُنْكِرَ خَبَرَ الرِّحْلَةِ السَّمَاوِيَّةِ فَلَا يَعْتَرِفُ وَلَا يُقِرُّ بِأَنَّهُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَوَاتِ الْعُلَى حَتَّى وَصَلَ إِلَى مُسْتَوًى سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ، لَا، بَلِ الرِّحْلَةُ السَّمَاوِيَّةُ كَالرِّحْلَةِ الْأَرْضِيَّةِ كِلَاهُمَا حَقٌّ وَكِلَاهُمَا وَاقِعٌ، **وَمَنْ يُنْكِرُ وَيَجْحَدُ الرِّحْلَةَ السَّمَاوِيَّةَ فَقَدْ جَحَدَ الْأَخْبَارَ الْمُتَوَاتِرَةَ الَّتِي امْتَلَأَتْ بِهَا دَوَاوِينُ السُّنَّةِ**، وَالَّتِي رُوِيَتْ عَنْ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ صَحَابِيًّا، **فَأَحَادِيثُ الْمِعْرَاجِ لَا تُحْصَى كَثْرَةً وَقَدِ اتَّفَقَتْ فِي مَا بَيْنَهَا عَلَى أَشْيَاءَ، وَلَمْ يَقَعْ بَيْنَهَا إِلَّا يَسِيرُ خِلَافٍ فِي الْأَلْفَاظِ أَوْ زِيَادَةٍ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ وَنَقْصٍ فِي الْبَعْضِ الْآخَرِ،** وَمَا كَانَ هَذَا لِيَضِيرَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَلَا لِيَحْمِلَنَا عَلَى إِنْكَارِهَا وَجَحْدِهَا، بَلْ نَحْنُ نُصَدِّقُ وَنُؤْمِنُ بِالْمِعْرَاجِ الَّذِي تَوَاتَرَ الْخَبَرُ بِهِ، وَالَّذِي تُشِيرُ إِلَيْهِ آيَاتُ النَّجْمِ إِذْ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِصَرِيحِ الْعِبَارَةِ: {**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**} مَاذَا يَقُولُ الْجَاحِدُونَ؟ مَاذَا يَقُولُ الْمُكَابِرُونَ؟ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {**وَلَقَدْ**

رَآهُ} أَيْ: رَأَى مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِمَا اَلسَّلَامُ- نَزْلَةً أُخْرَى فِي صُورَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ **{عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}** هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ عَلَى مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ رَآهُ لَكِنْ رَآهُ رُؤْيَا مَنَامٍ، أَوْ رُؤْيَا رُوحٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَدًّا وَدَفْعًا لِمَنْ يُنْكِرُ أَنَّ مُحَمَّدًا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- رَأَى جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى بِبَصَرِهِ لَا رُؤْيَا مَنَامٍ وَلَا رُؤْيَا بِالرُّوحِ، يَقُولُ: **{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}** وَمَعَ ذَلِكَ هَا نَحْنُ نَرَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ صَرِيحَةٌ كَصَرِيحِ الْإِسْرَاءِ، كَمَا صَرَّحَتْ آيَاتُ الْإِسْرَاءِ بِالْإِسْرَاءِ، فَقَدْ صَرَّحَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ بِالْمِعْرَاجِ ثَمَّ الْأَحَادِيثُ الَّتِي لَا تُحْصَى كَثْرَةً عَنْ نَفْسِ الْمِعْرَاجِ لَهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَصُعُودِهِ عَلَيْهِ وَهِيَ أَحَادِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهَا فِي دَوَاوِينِ السُّنَّةِ كُلِّهَا، وَبِحَسْبِهَا مِنَ الْقُوَّةِ أَنْ يَرْوِيَهَا الشَّيْخَانِ اللَّذَانِ اتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى قَبُولِ رِوَايَتِهِمَا، حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ: إِنَّ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ يُفِيدُ الْقَطْعَ كَالْقُرْآنِ، وَلَا يَجُوزُ أَبَدًا رَدُّ حَدِيثٍ وَرَدَ فِي الشَّيْخَيْنِ وَاتَّفَقَتْ عَلَيْهِ رِوَايَتَاهُمَا بَلْ يَجِبُ أَخْذُهُ بِالْقَبُولِ وَالتَّسْلِيمِ، فَكَيْفَ وَهِيَ لَيْسَتْ رِوَايَةً وَاحِدَةً فِي كُلٍّ مِنْهُمَا بَلْ هِيَ رِوَايَاتٌ وَرِوَايَاتٌ، غَيْرَ مَا يُوجَدُ فِي دَوَاوِينِ السُّنَّةِ مِنْ مُسْنَدِ أَحْمَدَ؛ أَوْ أَبِي يَعْلَى؛ أَوْ أَبِي دَاوُدَ؛ أَوِ التِّرْمِذِيِّ، أَوْ غَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ، فَهُوَ أَمْرٌ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَأَجْمَعَتْ عَلَيْهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَفِي كُلِّ جِيلٍ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا مَلَاحِدَةٌ مُعَطِّلُونَ جَاحِدُونَ لَا يَرُوقُ لَهُمْ إِلَّا الْإِنْكَارَ وَإِلَّا الجَحْدَ مَهْمَا أَقَمْتَ لَهُمْ مِنَ الْأَدِلَّةِ.

رِحْلَةُ السَّمَاءِ رِحْلَةٌ حَقِيقِيَّةٌ صَادِقَةٌ وَقَعَتْ فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ الَّتِي حَدَثَتْ فِيهَا وَاقِعَةُ الْإِسْرَاءِ، فَقَدْ جَاءَ فِي نَفْسِ أَحَادِيثِ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا وَصَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ نَزَلَ وَرَبَطَ جِبْرِيلُ الدَّابَّةَ فِي الْحَلْقَةِ، وَدَخَلَ هُوَ وَرَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-

فَصَلَّيَا جَمِيعًا رَكْعَتَيْنِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ خَرَجَا، وَعِنْدَ الْبَابِ قُدِّمَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- إِنَاءَيْنِ إِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَقِيلَ: مِنْ عَسَلٍ، وَقِيلَ: مِنْ مَاءٍ، فَاخْتَارَ اللَّبَنَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: **(أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ)**، أَوْ هُدِيتَ لِلْفِطْرَةِ، ثُمَّ قَالَ: فَنُصِبَ لِي الْمِعْرَاجُ بَعْدَ هَذَا مُبَاشَرَةً، بَعْدَمَا خَرَجَا مِنَ الْمَسْجِدِ نُصِبَ لَهُ الْمِعْرَاجُ [إِذْ هُوَ السُّلَّمُ ذُو الدَّرَجِ] فَرَقَى عَلَيْهِ هُوَ وَجِبْرِيلُ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- حَتَّى بَلَغَا أَسْبَابَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ خُزَّانُهَا: **مَنْ؟**، قَالَ: **جِبْرِيلُ**، قِيلَ: **وَمَنْ مَعَكَ؟**، قَالَ: **مُحَمَّدٌ**، قَالُوا: **أَ وَقَدْ بُعِثَ، أَوْ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟**، قَالَ: **نَعَمْ**، قَالَ: **فَأَهْلًا بِهِ وَمَرْحَبًا وَلِنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ**، يَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَلَا يَعْلَمُونَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، ثُمَّ يَرَى فِي السَّمَاءِ الْأُولَى أَبَاهُ آدَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَيَقُولُ لَهُ جِبْرِيلُ: **اِذْهَبْ إِلَى أَبِيكَ آدَمَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ**، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَيَرُدُّ عَلَيْهِ آدَمُ وَيَقُولُ: **أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ**، ثُمَّ يُجَاوِزُ آدَمَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَيَسْتَفْتِحُ جِبْرِيلُ فَيَلْقَى فِيهَا ابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى وَيَحْيَى -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- فَيُرَحِّبَانِ بِهِ وَيَدْعُوَانِ لَهُ بِالْخَيْرِ، ثُمَّ يَرْقَى إِلَى الثَّالِثَةِ فَيَجِدُ فِيهَا يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ وَقَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، ثُمَّ يَرْقَى إِلَى الرَّابِعَةِ فَيَجِدُ فِيهَا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَيُرَحِّبُ بِهِ إِدْرِيسُ وَيَدْعُو لَهُ بِالْخَيْرِ، ثُمَّ يَلْقَى فِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحَبَّبُ فِي قَوْمِهِ، ثُمَّ يَلْقَى فِي السَّادِسَةِ مُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ، ثُمَّ يَلْقَى فِي السَّابِعَةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ يَصِلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَيَقُولُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فِي وَصْفِهَا: **«لَقَدْ غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا، فَتَغَيَّرَتْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا»**، وَيَقُولُ: **«إِنَّ أَوْرَاقَهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِنَّ ثِمَارَهَا كَقِلَالِ هَجَرَ»**، ثُمَّ يَصْعَدُ فَوْقَ السِّدْرَةِ **وَهَذَا مَقَامٌ مَا عَلَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ**، حَتَّى وَلَا جِبْرِيلَ مَلَكُ الْوَحْيِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجَاوِزَ السِّدْرَةَ، وَلَكِنْ ضَيْفُ اللَّيْلَةِ ذَلِكَ الضَّيْفُ الْكَرِيمُ عَلَى رَبِّهِ أَذِنَ لَهُ فِي أَنْ يَدْنُوَ

وَيَدْنُوَ وَيَقْرُبَ وَيَقْرُبَ، فَتَجَاوَزَ السِّدْرَةَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مُسْتَوًى سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ وَغَشِيَتْهُ السَّحَابَةُ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ، وَكَانَ مِنْ رَبِّهِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، وَحِينَئِذٍ سَمِعَ نِدَاءَ الرَّبِّ -جَلَّ شَأْنُهُ- يَقُولُ لَهُ مِنْ فَوْقِهِ: **«يَا مُحَمَّدُ إِنِّي مُنْذُ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»**، وَهُنَا انْقَشَعَتْ عَنْهُ السَّحَابَةُ -يَعْنِي- انْتَهَتِ الْمُقَابَلَةُ الْمَلَكِيَّةُ، دَعَاهُ سُبْحَانَهُ لِيَقُولَ لَهُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، لِيُقَرِّبَهُ وَيُدْنِيَهِ هَذَا الْإِدْنَاءَ؛ وَهَذَا التَّقْرِيبَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ سِوَاهُ، ثُمَّ لِيَفْرِضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ، **«إِنِّي مُنْذُ خَلَقْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»**، فَيَرْجِعُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- حَيْثُ كَانَ يَنْتَظِرُهُ جِبْرِيلُ فَيَهْبِطُ بِهِ جِبْرِيلُ فَيَمُرَّانِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، قَالَ يَقُولُ لَهُ شَيْئًا، ثُمَّ يَمُرَّانِ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فَيَسْتَوْقِفُهُ وَيَقُولُ لَهُ: **«يَا مُحَمَّدُ مَاذَا عَهِدَ إِلَيْكَ رَبُّكَ وَإِلَى أُمَّتِكَ؟»**، يَا لَهَا مِنْ نَصِيحَةٍ! تَحْمِلُ مَعَانِيَ الْإِشْفَاقِ مِنْ أَخٍ لِأَخِيهِ، مِنْ مُوسَى إِلَى مُحَمَّدٍ؛ وَهُمَا أَخَوَانِ فِي الرِّسَالَةِ، لَمْ يَشَأْ مُوسَى أَنْ يَتْرُكَ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَمُرُّ دُونَ أَنْ يَنْصَحَ لَهُ، لَعَلَّ مُوسَى كَانَ قَدْ سَمِعَ هَذَا الْعَهْدَ مِنَ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِذَا رَجَعَ مُحَمَّدٌ أَوْ مَرَّ بِي فَلَابُدَّ أَنْ أَسْتَوْقِفَهُ لِأَنْصَحَ لَهُ كَيْ يَرْجِعَ إِلَى رَبِّهِ فَيَسْأَلَهُ التَّخْفِيفَ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ: **«خَمْسِينَ صَلَاةٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»**، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ عَنْ أُمَّتِكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ أَضْعَفُ الْأُمَمِ أَبْدَانًا وَقُلُوبًا وَأَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَقْصَرُهَا أَعْمَارًا، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- إِلَى جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي الرُّجُوعِ وَالْعَوْدَةِ لِأَنَّ ذَا مَقَامٌ لَا يَعْرِفُهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، فَمَلَكُ الْبُرُتُوكُولِ الْإِلَهِي جِبْرِيلُ هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ إِنْ كَانَ يَجُوزُ؛ إِنْ كَانَ يَسُوغُ فِي اللِّقَاءِ الْإِلَهِيِّ أَنْ يَعُودَ مُحَمَّدٌ لِمُقَابَلَةٍ

رَبِّهِ، فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى جِبْرِيلَ يَسْتَشِيرُهُ قَالَ لَهُ: نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ، فَصَعِدَ مَرَّةً أُخْرَى، وَفِي نَفْسِ الْمَكَانِ الَّذِي غَشِيَتْهُ فِيه الضَّبَابُ، قَالَ: يَا رَبِّ حُطَّ عَنْ أُمَّتِي، فَإِنَّ أُمَّتِي ضَعِيفَةٌ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَحَطَّ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، وَاسْتَجَابَ لِنِدَاءِ عَبْدِهِ، وَحَطَّ عَنَّا خَمْسًا أَوْ قَالَ عَشْرًا عَلَى خِلَافِ الرِّوَايَاتِ، **وَهُوَ كَذَلِكَ خِلَافٌ هَيِّنٌ وَخِلَافٌ يَسِيرٌ**، فَمِنَ الرِّوَايَاتِ رِوَايَةٌ تَقُولُ إِنَّهُ حَطَّ خَمْسًا فَخَمْسًا حَتَّى صَارَتْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَمِنْهَا مَا يَقُولُ إِنَّهُ حَطَّ عَنْهُ عَشْرًا فَعَشْرًا، وَفِي الْأَخِيرِ حَطَّ خَمْسًا وَبَقِيَتْ خُمْسٌ، وَالْأَمْرُ يَسِيرٌ.

الْمُهِمُّ أَنَّ مُرَاجَعَةَ نَبِيِّنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لِرَبِّهِ ثَابِتَةٌ فِي كُلِّ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، يَعْنِي هِيَ الَّتِي اتُّفِقَ عَلَيْهَا بَيْنَ الرِّوَايَاتِ، فَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ اخْتِلَافٌ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، وَلَكِنْ لَمْ تَخْتَلِفِ الرِّوَايَاتُ أَبَدًا فِي هَذِهِ الْمُرَاجَعَةِ، وَأَنَّ مُوسَى هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- بِتِلْكَ الْمُرَاجَعَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ظَلَّ يَحُطُّ عَنْ عَبْدِهِ حَتَّى بَقِيَتْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، فَقَالَ لَهُ فِي آخِرِ مَرَّةٍ: «**يَا مُحَمَّدُ هِيَ خُمْسٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ، وَكُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَهِيَ عِنْدِي خَمْسُونَ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**»، وَزَادَهُ عَلَى ذَلِكَ: «أَنَّ مَنْ هَمَّ مِنْ أُمَّتِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِينَ ضِعْفًا، إِلَى سَبْعِمِائَةٍ، إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَنَّ مَنْ هَمَّ مِنْهُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا بَلْ تَرَكَهَا لِلَّهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ».

هَذَا هُوَ حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ؛ فَمَا الَّذِي فِيهِ حَتَّى نُنْكِرَهُ؟، لِمَاذَا يَلِجُّ هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرُونَ؟، لِمَاذَا يُمْعِنُونَ فِي السَّفَاهَةِ وَالْغَيِّ؟، لِمَاذَا يُنْكِرُونَ الْمِعْرَاجَ؟، وَمَاذَا فِي الْمِعْرَاجِ مِنْ إِنْكَارٍ؟ بَعْدَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوق -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-وَبَعْدَمَا حَمَلَ عَنْهُ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كُلَّهَا

صَحَابَتُهُ الْأُمَنَاءُ الثِّقَاتُ الْجَدِيرُونَ بِكُلِّ ثِقَةٍ، ثُمَّ حَمَلَ ذَلِكَ عَنْهُمُ التَّابِعُونَ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ حَمَلَ ذَلِكَ أَئِمَّةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَسَلَفُهَا الصَّالِحُ، فَسَيُكَذِّبُونَ مَنْ؟!، أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مَنْ يُكَذِّبُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ؟!، هَلْ نُكَذِّبُ أَحْمَدَ؟!، نُكَذِّبُ الثَّوْرِيَّ؟!، نُكَذِّبُ الْأَوْزَاعِيَّ؟!، نُكَذِّبُ ابْنَ الْمُبَارَكِ؟!، نُكَذِّبُ فُلَانًا وَفُلَانًا مِنْ أَئِمَّةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟!، وَإِذَا ضَاعَتْ ثِقَتُنَا بِهَؤُلَاءِ وَهُمُ الَّذِينَ حَمَلُوا إِلَيْنَا هَذَا الدِّينَ وَبَلَّغُوا إِلَيْنَا هَذِهِ الْأَمَانَةَ، فَنَضَعُ ثِقَتَنَا فِي مَنْ إِذَنْ؟!، وَمَنْ نُصَدِّقُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ عِنْدَنَا فِي مَوْضِعِ الِاتِّهَامِ؟!، فَمَنْ نُصَدِّقُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الْكِرَامِ؟!.

فَيَا قَوْمُ اتَّقُوا اللَّهَ فِي دِينِكُمْ، اِتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَسْمَعُوا لِهَؤُلَاءِ الْمُبْلْسَمِينَ[4]، إِنَّهُمْ بَيْنَ أَمْرَيْنِ:

إِمَّا مَخْدُوعُونَ مُضَلَّلُونَ.

وَإِمَّا عُمَلَاءُ مَأْجُورُونَ.

فَلَا نُصَدِّقُهُمْ أَبَدًا، فَنَنْفُضُ أَيْدِينَا مِنْ أَكْرَمِ الْكِرَامِ، وَأَغْلَى كَنْزٍ وَضَعَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَيْدِينَا، وَهُوَ كَنْزُ السَّنَةِ الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تُضِيءُ لَنَا الطَّرِيقَ فِي هَذِهِ الظُّلْمَاتِ الَّتِي تَغْشَانَا بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ، إِنَّهَا هِيَ الَّتِي تُبَصِّرُنَا الطَّرِيقَ؛ وَتَهْدِينَا السَّبِيلَ، كَيْفَ نَعِيشُ بِلَا سُنَّةٍ؟، وَكَيْفَ نَعِيشُ بِلَا حَيَاةٍ؟، **إِنَّ السُّنَّةَ هِيَ الْحَيَاةُ**، كَيْفَ نَعِيشُ هَمَلًا؟، كَيْفَ نَعِيشُ بِدُونِ أَدَبٍ نَأْخُذُهُ مِنْ نَبِيِّنَا-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- هَلْ رَأَيْتُمْ فِي الدُّنْيَا رَجُلًا يَنْزِلُ عَلَيْهِ كِتَابٌ ثُمَّ يَسْكُتُ عَنْ هَذَا الْكِتَابِ وَهُوَ مَأْمُورٌ بِالْبَيَانِ، يَعْنِي كَانَتْ مُهِمَّتُهُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ- أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ فَقَطْ!، كَمَا يَقْرَأُهُ فُلَانٌ وَفُلَانٌ!، فَهَلْ كَانَ قَارِئًا فَقَطْ، أَمْ كَانَ مُطَبِّقًا، وَكَانَ مُبَيِّنًا؟!، فَإِذَا كَانَتْ مُهِمَّتُهُ الْقِرَاءَةُ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْرَأَ، **سُبْحَانَ اللَّهِ!، كَيْفَ نَقْطَعُ الصِّلَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذَا النُّورِ فَنَعِيشُ فِي الظَّلَامِ!**، كَيْفَ

(4) قَالَ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ» (55/12): «بَلْسَمَ: سَكَتَ عَنْ فَزَعٍ».

نَقْطَعُ السُّنَّةَ عَنِ الْقُرْآنِ وَقَدْ وَصَلَ اللَّهَ بَيْنَهُمَا!. هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ، **السُّنَّةُ وَالْقُرْآنُ تَوْأَمَانِ**، أَمْرَ اللَّهُ أَنْ يُوصَلَ الْقُرْآنُ بِالسُّنَّةِ، وَأَنْ يُفْهَمَ الْكِتَابُ بِالسُّنَّةِ، فَمَنْ قَطَعَ الْقُرْآنَ عَنِ السُّنَّةِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، **وَكُلُّ الطَّوَائِفِ الَّتِي اعْتَمَدَتْ فِي دِينِهَا عَلَى الْقُرْآنِ فَقَطْ وَقَطَعَتِ الْحَبْلَ الَّذِي رَبَطَ الْقُرْآنَ بِالسَّنَةِ ضَلَّتْ ضَلَالًا بَعِيدًا**، وَهَاكُمُ الْخَوَارِجَ كَانَ سَبَبُ ضَلَالِهِمْ هُوَ تَعْوِيلُهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ وَرَفْضُهُمُ السُّنَنَ، حَتَّى أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا الرَّجْمَ وَهُوَ ثَابِتٌ بِالتَّوَاتُرِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَأَنْكَرُوا الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَأَنْكَرُوا كَثِيرًا مِنَ السُّنَنِ لِأَنَّهُمُ اعْتَمَدُوا عَلَى الْقُرْآنِ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا فِي الْقُرْآنِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ أَنْكَرُوهُ وَكَفَرُوا بِهِ، وَكَذَلِكَ الْمُعْتَزِلَةُ أَنْكَرُوا كَثِيرًا مِنَ السُّنَنِ لَكِنْ كَانَ مَوْقِفُهُمْ أَخَفَّ مِنْ مَوْقِفِ الْخَوَارِجِ، لِأَنَّهُمْ صَدَّقُوا بِبَعْضِ الْأَحَادِيثِ وَأَنْكَرُوا الْبَعْضَ. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ هُنَاكَ قَانُونٌ لِلْقَبُولِ؛ وَقَانُونٌ لِلرَّفْضِ، فَلَا نَقْبَلُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا نَرْفُضُ كُلَّ شَيْءٍ، بَلْ مَعَنَا الْمِيزَانُ الَّذِي نَزِنُ بِهِ الْأَقْوَالَ وَالْأَخْبَارَ، فَالْخَبَرُ الَّذِي يَجُوزُ الْقَنْطَرَةَ وَيَرْجَحُ فِي الْمِيزَانِ، نَقْبَلُهُ عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ، وَالْخَبَرُ الَّذِي يَتَعَثَّرُ وَيَطِيشُ فِي الْمِيزَانِ نَرْفُضُهُ وَلَا كَرَامَةَ.

فَهَذَا هُوَ قَانُونُ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، فَلَا تَأْتِ وَتَرْفُضْ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ السُّنَنِ، فَهَذَا كَلَامٌ فَارِغٌ وَتَهَوُّرٌ، وَلَا تَأْتِ وَتَقْبَلْ كُلَّ السُّنَنِ فَهَذَا مِنَ السَّذَاجَةِ، لِأَنَّنَا لَا نُنْكِرُ أَنَّهُ قَدْ وُضِعَتْ أَحَادِيثُ عَلَى رَسُولِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وَهُنَاكَ أَحَادِيثُ ضَعِيفَةٌ، وَفِي رُوَاتِهَا مَنِ اتُّهِمَ، فَلَا عَلَيْنَا أَنْ نُعْرِضَ عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ جَانِبًا وَنَأْخُذَ الصَّحِيحَ الْجَلِيَّ، الَّذِي يَتَأَلَّقُ كَتَأَلُّقِ الشَّمْسِ وَكَتَأَلُّقِ الْفَجْرِ، نَأْخُذُهُ عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ، وَأَئِمَّتُنَا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- قَدْ كَفَوْنَا مُؤْنَةَ الْبَحْثِ عَنِ الْأَحَادِيثِ، فَغَرْبَلُوهَا مَرَّاتٍ وَنَخَلُوهَا مَرَّاتٍ حَتَّى أَخْرَجُوا لَنَا الزُّبْدَةَ الْخَالِصَةَ الَّتِي لَا يَشُكُّ فِيهَا أَحَدٌ.